

# طوبى للشام

مَجْمَعَةُ الصَّاحِبِ الْمُنَجِّدِ





طوبى للشام

# طوبى للشام

مُحَمَّدُ صَالِحُ الْمُنَجِّدُ



ح مجموعة زاد للنشر، ١٤٣٤هـ  
فهرسة مكتبة فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد، محمد صالح  
طوبى للشام، / محمد صالح المنجد . - جدة، ١٤٣٤هـ

ص؛ سم

ردمك: ٥ - ٣٨ - ٨٠٤٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١٤٣٤/٨٢٥

ديوي: ٩٥٣، ٠٧٣

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٨٢٥

ردمك: ٥ - ٣٨ - ٨٠٤٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة: ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

## مُقَاتِلَةٌ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذه نبذة مختصرة، تقصّ الحق الذي شهد به الكتاب المبين والسنة المطهرة، في بيان فضل هذه البلاد المباركة، وكرامة تلك الديار المشرفة، وهو فصل من فصول كتاب كبير عن الشام أرجو أن يفيد في أحداث الساعة الراهنة، التي أدمعت العين، وأدمت القلب، وأزعجت النفس.

تلك الأحداث التي جرّت على الشام وأهله ما جرّته من صنوف البلاء، وأعقبت ما أعقبته من الهموم والكروب بشتى أنواعها وكافة أجناسها.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيَمَّحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَّحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾

[آل عمران: ١٤٠: ١٤١].

ومن تأمل هذه النصوص الثابتة والأخبار الصادقة تعرّف على موعود الله الذي لا يخلف وعده، وأيقن أن النصر قادم، وأن مع العسر يسرا، وأن الله معرّ جنده، ومذلّ عدوّه، و متمّ نورّه، لا محالة.

فإلى بشرى تلك العجالة، وإلى الأمل المنشود، الذي تحمله بين طياتها كلماتُ الصادق المصدوق، ويزفُّه إلينا حديثٌ من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

\* \* \*

## فُضَايِلُ الشَّامِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

يختص الله برحمته من يشاء من عباده، وَيَخُصُّ بفضله من يريد، ويفضّل بعض البقاع والبلدان والأزمان على بعض، ولله الحكمة البالغة في ذلك.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «لِلْبَارِي تَعَالَى أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، وَيَخُصُّ بِالْفَضِيلَةِ مَا يَشَاءُ، لَيْسَ لِعَمَلِهِ عِلَّةٌ، وَلَا عَلَيْهِ حَجْرٌ، بَلْ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ بِحِكْمَتِهِ، وَقَدْ تَظَهَّرَ فِيهِ الْحِكْمَةُ، وَقَدْ تَخَفَى»<sup>(١)</sup>.

وقد حفلت السنة النبوية بأحاديث كثيرة في فضل الشام وفضل أهلها، وفضل الهجرة إليها زمان الفتن، أفردتها العلماء بالتصنيف، منهم: أبو الحسن الرّبّعي، وأبو سعد السمعاني، وأبو الفرج ابن الجوزي، وبهاء الدين ابن عساكر، وبرهان الدين البقاعي، وضياء الدين المقدسي، والعز بن عبد السلام، وابن عبد الهادي، وابن رجب الحنبلي، وغيرهم.

ف«إقليم الشام: جليل الشأن، ديار النبيّين، ومركز الصالحين، ومطلب الفضلاء، به القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرى، والأرض المقدّسة، والرباطات الفاضلة، والثغور الجليلة، ومهاجر إبراهيم، ومشاهد الأنبياء... وفضائل لا تحصى»<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «ثَبَتَ لِلشَّامِ وَأَهْلِهَا مَنَاقِبُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ الْعُلَمَاءِ، وَهِيَ أَحَدُ مَا اعْتَمَدْتَهُ فِي تَحْضِيصِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَزْوِ التَّارِ، وَأَمْرِي لَهُمْ بِلُزُومِ دِمَشْقَ، وَنَهْيِي لَهُمْ عَنِ الْفِرَارِ إِلَى مِصْرَ، وَاسْتِدْعَائِي الْعُسْكَرَ الْمِصْرِيَّ إِلَى

(١) «تفسير القرطبي» (١٣٦/٨).

(٢) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي ص[١٥١]، باختصار وتصرّف.

الشَّامِ وَتَثَبَّتِ الشَّامِيَّ فِيهِ»<sup>(١)</sup>.

### الشام لغة:

الشَّامُ، والشَّامُ: بسكون الهمزة وفتحها لغتان، وفيها لغة ثالثة وهي «الشَّامُ» بغير همز، واشتقاقها مأخوذ من اليد الشَّوْمِي؛ وهي اليسرى؛ سميت به لأنها من مشامة القبلة.

وقيل: سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض، فشبهت بالشامات.

وقيل: سميت الشام بـ«سام بن نوح»؛ لأنه أول من نزلها، واسمه بالسريانية: شام<sup>(٢)</sup>.

والشام هي الإقليم الشمالي الغربي من شبه جزيرة العرب<sup>(٣)</sup>.

وحدُّ الشام؛ من الغرب: البحر المتوسط، ومن الشرق: البادية من أيلة<sup>(٤)</sup> إلى الفرات،

وينتهي حد الشام شمالا بسفوح جبال طوروس، وجنوبا بعريش مصر<sup>(٥)</sup>.

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/٥٠٥).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/١٧١).

(٣) وبلاد الشام تشمل في هذا العصر: سوريا، والأردن، ولبنان، وفلسطين.

(٤) أيلة: مدينة قديمة على البحر الأحمر، وهي على مقربة من العقبة اليوم.

(٥) ينظر: كتاب «خطط الشام» (٩/١) لمحمد كرد علي، وكذا: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/١٧١).



والفضائل الثابتة للشام كثيرة متنوعة، فمن ذلك:

١- أن الشام من البلاد التي بارك الله فيها، «وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ عَلَى بَرَكَةِ الشَّامِ فِي خَمْسِ آيَاتٍ»<sup>(١)</sup>.

الأولى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ، مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

قال الإمام الطبري: «أي: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معاشهم، وأقواتهم، وحرورهم، وغروسهم»<sup>(٢)</sup>.

فقد بارك الله في أرضها: بالمياه والأشجار والثمار والخصب، وفي أرزاقها: بالكثرة والطيب، وفي رجالها: بالعلم والنبوة، وفي طباعهم: بالاستقامة، وفي عزائمهم: بالنجدة والشجاعة والمكارم، وفي جميع أحوالهم<sup>(٣)</sup>.

الثانية: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

قال الطبري: «هي أرض الشام، فارق -صلوات الله عليه- قومه ودينهم وهاجر إلى الشام».

وقال: «لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد قدم مكة وبنى بها البيت، وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقيم بها، ولم يتخذها وطنًا لنفسه، ولا لوط»<sup>(٤)</sup>.

(١) «مجموع الفتاوى» (٤٤ / ٢٧)

(٢) «جامع البيان» (٥٠٩٣ / ٦).

(٣) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (٩٢ / ٣).

(٤) «جامع البيان» (٥٧١٦ / ٧).

الثالثة: ﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾

[الأنبياء: ٨١].

فإن المراد بتلك الأرض: الشام، «وإنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان»<sup>(١)</sup>.

الرابعة: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾

[الأعراف: ١٣٧].

«ومعلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغربها، بعد أن أغرق فرعون في اليم»<sup>(٢)</sup>.

الخامسة: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً﴾ [سبأ: ١٨].

فالقرى التي بارك الله فيها هي: قرى الشام.

قال ابن كثير: «قال مجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وابن زيد وغيرهم: يعني قرى الشام.

يعنون: أنهم كانوا يسرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام بعد ذكره هذه الآيات الخمس: «فَهَذِهِ خَمْسُ نُصُوصٍ حَيْثُ ذَكَرَ

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٠٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٠٦).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١١/ ١٧٦).

اللَّهُ أَرْضَ الشَّامِ فِي هِجْرَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَيْهَا، وَمَسَرَى الرَّسُولِ إِلَيْهَا، وَانْتِقَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَيْهَا، وَمَمْلَكَةِ سُلَيْمَانَ بِهَا، وَمَسِيرِ سَبَأَ إِلَيْهَا، وَصَفَهَا بِأَنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا.

وَأَيْضًا فِيهَا: الطُّورُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى، وَالَّذِي أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ فِي (سُورَةِ الطُّورِ)، وَفِي ﴿وَالنِّينِ وَالزُّبُرِ﴾ ① وَطُورِ سَيْنِينَ ﴿التين: ١-٢﴾.

وَفِيهَا: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى.

وَفِيهَا: مَبْعَثُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِلَيْهَا هِجْرَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَيْهَا مَسَرَى نَبِيِّنَا، وَمِنْهَا مِعْرَاجُهُ ﴿١﴾.

وَدَعَا لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبُرْكَ، فَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي يَمِينِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي يَمِينِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي يَمِينِنَا». فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي عِرَاقِنَا؟

قَالَ: (إِنَّ بِهَا الزَّلَازِلَ، وَالْفِتْنََ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) ﴿٢﴾.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «وَالْبُرْكَ تَتَنَاوَلُ: الْبُرْكَ فِي الدِّينِ، وَالْبُرْكَ فِي الدُّنْيَا» ﴿٣﴾.

وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ: «اعْلَمْ أَنَّ الْبُرْكَ فِي الشَّامِ تَشْمَلُ الْبُرْكَ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلِهَذَا سَمِيَتْ الْأَرْضُ الْمَقْدِسَةَ» ﴿٤﴾.

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٥٠٦).

(٢) رواه البخاري (١٠٧٣)، والترمذي (٣٩٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٨٤/ ١٢) واللفظ له.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٤٤).

(٤) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٢٤).

قال العز بن عبد السلام: «لما بدأ بالدعاء للشام بالبركة، وثنى باليمن، دل على تفضيل الشام على اليمن، مع ما أثنى به على أهل اليمن في غير هذا الحديث، فإن البداية إنما تقع بالأهم فالأهم»<sup>(١)</sup>.

وروي عن كعب قال: «إن الله - تعالى - بارك في الشام من الفرات إلى العريش»<sup>(٢)</sup>.

وقد أقسم الله في كتابه بمواضع شريفة منها، دلالة على عظمتها، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَقْسَمُ إِلَّا بِعَظِيمٍ، فقال: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّيْتُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وَطُورِ سَيْنِينَ<sup>(٤)</sup> وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿التين: ١-٣﴾.

قال الحافظ ابن كثير: «قَالَ بَعْضُ الْأَثَمَةِ<sup>(٥)</sup>: هَذِهِ مَحَالُّ ثَلَاثَةٍ، بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا مِنْ أُولِي الْعِزْمِ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الْكِبَارِ.

فَالأَوَّلُ: مَحَلَّةُ التَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ فِيهَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ.

وَالثَّانِي: طُورُ سَيْنِينَ، وَهُوَ طُورُ سَيْنَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ.

وَالثَّالِثُ: مَكَّةُ، وَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَهُوَ الَّذِي أُرْسِلَ فِيهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن رجب الحنبلي: «ولا ريب أن لفظ القرآن يدل صريحًا على التين والزيتون

(١) «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» للعز بن عبد السلام ص ٣٤.

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٢٣)

(٣) يعني بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وينظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٥/ ٢٠٤)، (٥/ ٢٠٧).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٣٤).

المأكولين، كما قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

ولكنه قد يدل على مكانهما من الأرض، بدليل أنهما قُرنا بمكانين شريفين، وهما الطور والبلد الأمين.

وهذه البقاع هي أشرف بقاع الأرض، ومنها ظهرت النبؤات العظيمة والشرائع المتبعة، فعامة أنبياء بني إسرائيل كانوا من الشام، وهي أرض التين والزيتون، ومنها ظهرت نبوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطور سيناء كلم الله منه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والبلد الأمين منه ابتدئ الوحي، وإنزاله عَلَى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه النبوات الثلاث هي أعظم النبوات والشرائع.

فمن قال من المفسرين: إن التين والزيتون هما المأكولان فقوله صحيح باعتبار دلالة التين والزيتون عَلَى بقاعهما من الأرض، فإن أرض الشام هي أرض التين والزيتون غالبًا.

ومن قال: التين: دمشق، والزيتون: بيت المقدس وفلسطين، فقوله صحيح، باعتبار أن دمشق وما حولها هي بلاد التين غالبًا، وفلسطين وبيت المقدس بلاد الزيتون غالبًا.

ومن قال: المراد: جبل دمشق وجبل بيت المقدس، فالجبل من جملة أرض التين والزيتون.

ومن قال: المراد مسجد دمشق ومسجد بيت المقدس، فهذان المسجدان هما أشرف بقاع أرض الشام، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

(١) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٥٣).

## ٢- والشام ترعاها ملائكة الرحمن وتحفظها.

فَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّقَاعِ<sup>(١)</sup>.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِلشَّامِ». فَقُلْنَا: لَأَيِّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «لَأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أُجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «يا طُوبَى لِلشَّامِ، يا طُوبَى لِلشَّامِ، يا طُوبَى لِلشَّامِ»... الحديث<sup>(٣)</sup>

طوبى: أي حالة طيبة لها ولأهلها.

قال ابن الأثير: «المراد بطوبى ها هنا: فُعَلَى مِنَ الطَّيِّبِ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الطَّيِّبِيُّ: «طُوبَى مَصْدَرٌ مِنْ طَابَ كَبَشْرَى وَرُزْنَى، وَمَعْنَى طُوبَى لَكَ: أَصَبْتَ خَيْرًا وَطَيِّبًا»<sup>(٥)</sup>.

وقوله: «بَاسِطَةٌ أُجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا»، أي: تحفها وتحوطها بإنزال البركات، ودفع

المهالك والمؤذيات<sup>(٦)</sup>.

(١) أي: يجمعون ما نزل من الآيات المفرقة في سورها، ينظر: «مرقاة المفاتيح» (١/ ٣١٧).

(٢) رواه أحمد (٢١٠٩٦) والترمذي (٣٩٥٤) وحسنه، وصححه: السيوطي والألباني.

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٥/ ١٥٨)، وصححه الألباني.

(٤) «النهاية» (٣/ ٣١٨).

(٥) «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٤٠٣٩).

(٦) «فيض القدير» (٤/ ٢٧٤).

## ٣ - الشَّامِ صِفَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، وَقَدْ تَكْفَّلَ اللهُ بِهَا وَبِأَهْلِهَا

ولهذا جاءت الوصية بسكنى الشام والهجرة إليها.

فَعَنْ ابْنِ حَوَالَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَيَّ أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ».

قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خَرَّ لِي <sup>(١)</sup> يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ.

فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا خَيْرَةٌ لِلَّهِ مِنْ أَرْضِهِ» <sup>(٢)</sup>، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خَيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ <sup>(٣)</sup>، فَأَمَّا إِنْ أَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِبَيْتِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدْرِكُمْ <sup>(٤)</sup>، فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ <sup>(٥)</sup>.

ورواه أحمد (٢٠٣٦٥) بلفظ: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ» <sup>(٦)</sup>، عَلَيْكَ بِالشَّامِ، عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِبَيْتِهِ، وَلْيَسْقِ مِنْ غُدْرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكْفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ <sup>(٧)</sup>.

(١) أي اختر لي، ودلّني على بلاد أسكنها عند وقوع الفتن وتقسيم بلاد المسلمين إلى أجناد أو دُوِيَّلات.

(٢) أي هي مختارة الله من بلاده، اختارها سبحانه من جميع الأرض للإقامة في آخر الزمان.

(٣) أي يجمع إليها المختارين من عباده، والاجتباء: الاصطفاء.

(٤) قال الطيبي: «كأن قوله (فأما إن أبيتكم) ورد على التائب والتغيير... فإن أبيتكم أيتها العرب ما اختاره الله تعالى، واختارتم بلادكم ومسقط رأسكم من البوادي، فالزموا يمنكم واسقوا من غدورها؛ لأنه أوفق لكم من مياه البوادي».

فعلم من هذا أن الشام أولى بالاختيار، واليمن عند الاضطراب، والغدر: جمع غدبر، وهو حفرة ينقع فيها الماء، والعرب أكثر الناس اتحاذًا لها، ولذلك أضيفت إليهم «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٤٠٤٢).

(٥) رواه أبو داود (٢٤٨٣) وصححه الألباني.

(٦) وقد نزل عبد الله بن حوالة الشام، وسكن بها، وتوفي بها، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ينظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤/ ٥٩).

(٧) المعنى أن الله ضمن لي حفظها وحفظ أهلها من بأس الكفرة واستيلائهم بحيث يتخطفهم ويدمرهم بالكلية،

ينظر: «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٤٠٤٢)

«فَكَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ: مَنْ تَكَفَّلَ اللَّهُ بِهِ، فَلَا ضَيْعَةَ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

قال العز بن عبد السلام: « فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الشَّامَ فِي كِفَالَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ سَاكِنِيهِ فِي كِفَالَتِهِ: حَفِظَهُ وَحَيَاطَتَهُ، وَمَنْ حَاطَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَحَفِظَهُ، فَلَا ضَيْعَةَ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

ونقل أبو داود عن الإمام أحمد أنه قيل له: هذه الأحاديث التي جاءت أن الله تكفل لي بالشام وأهله، ونحو هذا. قال: ما أكثر ما جاء في هذا. قيل له: فعله في الثغور. قال: لا<sup>(٣)</sup>.

وعن معاوية بن حيدة قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: «هَاهُنَا، وَنَحَا يَدَيْهِ نَحْوَ الشَّامِ»<sup>(٤)</sup>.

وروى إبراهيم بن أدهم عن عطاء الخراساني قال: لما هممت بالثقله من خراسان شاورت من بها من أهل العلم: أين ترون أن أنزل بعياي؟

فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

ثم أتيت البصرة فشاورت من بها: أين ترون أن أنزل بعياي؟

فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

(١) «الأحاديث المختارة» للضياء المقدسي (٢٧٣ / ٩)

(٢) «ترغيب أهل الإسلام» ص ٤

(٣) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣ / ١٨٥).

(٤) رواه الترمذي (٢١٩٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.



ثم أتيت الكوفة فشاورت من بها من أهل العِلْم: أين ترون أن أنزل بعيالي؟  
فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

ثم أتيت مكة فشاورت من بها من أهل العِلْم: أين ترون لي أن أنزل بعيالي؟  
فكلهم يقول لي: عليك بالشام.

ثم أتيت المدينة: فسألت من بها من أهل العِلْم: أين ترون لي أن أنزل بعيالي؟  
فكلهم يقول لي: عليك بالشام.<sup>(١)</sup>

وقد نزل كثير من أنبياء الله ورسله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشام، وإن التاريخ الطويل لبلاذ الشام مرتبط أشد الارتباط بسيرة أولي العزم من الرسل، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين؛ ك: إبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، واليسع، وشعيب، ويوشع، وأيوب، ويونس، وإلياس، وداود، وسليمان، وعيسى، وزكريا، ويحيى، عليهم الصلاة والسلام.

قال ابن رجب رَحْمَةُ اللهِ: «عامّة أنبياء بني إسرائيل كانوا من الشام»<sup>(٢)</sup>.

وقد دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلاد الشام قبل البعثة وهو صبي مع عمه في التجارة، ولم يخرج من الحجاز إلا إليها.

(١) «التاريخ الكبير» لابن أبي خيثمة (١٠٧/٢).

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (٢٥٣/٣).

وبعد الهجرة توجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مشارفها لحرب الروم؛ فوصل إلى تبوك بأرض الأردن، فبدأ بها قبل غيرها من الأمصار، وأعطاه اهتماماً دون غيرها من البلدان، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون من بعده.

فالشام كما قال شيخ الإسلام: «فِيهَا مَبْعُثُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِلَيْهَا هِجْرَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِلَيْهَا مَسْرَى نَبِيِّنَا، وَمِنْهَا مِعْرَاجُهُ، وَبِهَا مُلْكُهُ وَعَمُودُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ، وَطَائِفَةٌ مَنصُورَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ؛ وَإِلَيْهَا الْمَحْشَرُ وَالْمَعَادُ»<sup>(١)</sup>.

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧ / ٥٠٧).

## ٤- وأهل الشام هم الصفوة المختارة

عَنْ قُرَّةَ بْنِ إِيَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ، فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وهذا يدل على أن فضائل الشام ليست للبلاد فقط، وإنما للبلاد وأهلها.

وقد بوب ابن حبان في صحيحه<sup>(٢)</sup> على هذا الحديث بقوله: «ذَكَرُ الْإِخْبَارِ عَلَى أَنَّ الْفَسَادَ إِذَا عَمَّ فِي الشَّامِ، يَعُمُّ ذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمُدُنِ».

ويدل عليه أيضاً قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المتقدم: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ».

وما يحصل في الشام اليوم أقوى دليل على أن أهل الشام لم يفسد حالهم؛ فهم مع ما هم فيه من البلاء والتقتيل لا يزالون صامدين ثابتين، لا يزيدهم هذا البلاء إلا إيماناً وتسليماً، وهم في ذلك ينتظرون نصر الله القريب.

وهذا وحده يكفي للدلالة على أصالة الإيمان في قلوبهم، وما هم عليه من صحة الانتساب لدين الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وليس الفساد أن تُبْتَلَى، ولكنَّ الفساد أن تُبْتَلَى ثم لا تصبر، أما من ابْتُلِيَ فصبر، فقد سلك مسلك الأنبياء والصالحين.

(١) رواه الترمذي (٢١٩٢) وصححه، وصححه الألباني.

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٦ / ٢٩٢).

## ٥- الشام منزل الإيمان، وبها عمود الكتاب

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتزَعَتْ مِنْ تَحْتِ وَسَادَتِي، فَاتَّبَعْتُهُ بِصَرِي، فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ عَمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنُ بِالشَّامِ»<sup>(١)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ عَمُودًا مِنْ نُورٍ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي سَاطِعًا حَتَّى اسْتَقَرَّ بِالشَّامِ»<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعَمُودُ الْكِتَابِ وَالْإِسْلَامِ: مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَهُمْ حَمَلَتُهُ الْقَائِمُونَ بِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وقال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عَمُودَ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ يَكُونُ عِنْدَ وَقُوعِ الْفِتْنِ بِالشَّامِ، بِمَعْنَى: أَنَّ الْفِتْنَ إِذَا وَقَعَتْ فِي الدِّينِ كَانَ أَهْلُ الشَّامِ بَرَاءً مِنْ ذَلِكَ ثَابِتِينَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَإِنْ وَقَعَتْ فِي غَيْرِ الدِّينِ كَانَ أَهْلُ الشَّامِ عَامِلِينَ بِمُوجِبِ الْإِيمَانِ، وَأَيُّ مَدْحٍ أْتَمَّ مِنْ ذَلِكَ؟

والمعنى بعمود الإسلام: ما يعتمد أهل الإسلام عليه، ويلتجئون إليه، والعيان شاهد لذلك، فإننا رأينا أهل الشام على الاستقامة التامة، والتمسك بالكتاب والسنة عند ظهور

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٨٥٥٤)، وأبو نعيم في «الحلیة» (٢٥٢/٥)، وصححه الألبانی.

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٧٧٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٥٦٦)، وحسنه ابن كثير في «مسند الفاروق» (٧٠١/٢)، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣٦٩/٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤٢/٢٧).

الأهواء، واختلاف الآراء»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام: «وَأَمَّا الشَّامُ فَلَمْ يَزَلْ فِيهَا الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ، وَمَنْ يُقَاتِلْ عَلَيْهِ مَنْصُورًا مُؤَيَّدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» ص ٥.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/٤٤٩).

## ٦- استقرار الإسلام وثبوته بالشام

عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ.

قَالَ: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلْتِ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: «كَانَ مَنْامًا رَأَتْهُ حِينَ حَمَلْتِ بِهِ، وَقَصَتْهُ عَلَى قَوْمِهَا فَشَاعَ فِيهِمْ وَاشْتَهَرَ بَيْنَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ تَوَاطُؤَةً.

وَتَخْصِيصُ الشَّامِ بِظُهُورِ نُورِهِ إِشَارَةٌ إِلَى اسْتِقْرَارِ دِينِهِ وَثُبُوتِهِ بِبِلَادِ الشَّامِ، وَلِهَذَا تَكُونُ الشَّامُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعْقِلًا لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِذَا نَزَلَ بِدَمَشْقٍ»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا إِضَاءَةُ قُصُورِ بَصْرَى بِالنُّورِ الَّذِي خَرَجَ مَعَهُ، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا خَصَّ الشَّامَ مِنْ نُورِ نُبُوتهِ، بِأَنَّهَا دَارُ مَلِكِهِ، كَمَا ذَكَرَ كَعْبُ أَنَّ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجِرُهُ يَثْرِبَ، وَمَلِكُهُ بِالشَّامِ، فَمِنْ مَكَّةَ بُدِئَتْ نُبُوتهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِلَى الشَّامِ يَنْتَهِي مَلِكُهُ، وَلِهَذَا أُسْرِيَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٦٥٦/٢) وقال: «خالد بن معدان من خيار التابعين، صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة فإذا أسند حديثاً إلى الصحابة فإنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد»، وضححه كذلك الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٥٤٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/٤٤٤).

إلى الشام إلى بيت المقدس، كما هاجر إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من قبله إلى الشام.

قال بعض السلف: ما بعث الله نبياً إلا من الشام، فإن لم يبعثه منها هاجر إليها، وفي آخر الزمان يستقر العلم والإيمان بالشام فيكون نور النبوة فيها أظهر منه في سائر بلاد الإسلام»<sup>(١)</sup>

---

(١) «لطائف المعارف» ص ٨٨.

## ٧ - الطائفة المنصورة التي تحمل الحق وتدافع عنه في أرض الشام

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ فُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مُنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» (١).

ورواه مسلم (١٥٦) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

ورواه البخاري (٣٦٤١) - واللفظ له - ومسلم (١٠٣٧) عن مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يَخَامَرَ قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّامِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ.

ورواه أبو داود (٢٤٣٤) وأحمد (١٩٤١٩) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ».

ورواه الطبري في التهذيب (٩٣٣) وزاد: وكان مطرف يقول: هم أهل الشام.

وفي رواية له أيضًا قال: فكانوا يرون أنهم من أهل الشام.

ورواه أحمد (١٨٨٠٤) بسند صحيح عن أبي عبد الله الشامي قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَحْطُبُ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الشَّامِ حَدَّثَنِي الْأَنْصَارِيُّ - يَعْنِي زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

(١) رواه الترمذي (٢١٩٢) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» وغيره.



صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ»، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا هُمْ يَا أَهْلَ الشَّامِ.

وروى مسلم (١٩٢٥) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْعَرَبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

قال شيخ الإسلام: «قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: أَهْلُ الْمَغْرِبِ هُمْ أَهْلُ الشَّامِ، وَهُوَ كَمَا قَالَ لَوْجَهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ فِي سَائِرِ الْحَدِيثِ بَيَانُ أَنَّ هُمْ أَهْلُ الشَّامِ.

الثَّانِي: أَنَّ لُغَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلَ مَدِينَتِهِ فِي «أَهْلِ الْمَغْرِبِ» هُمْ أَهْلُ الشَّامِ وَمَنْ يُعْرَبُ عَنْهُمْ.

كَمَا أَنَّ لُغَتَهُمْ فِي أَهْلِ الْمَشْرِقِ هُمْ أَهْلُ نَجْدٍ وَالْعِرَاقِ، فَإِنَّ التَّغْرِيْبَ وَالتَّشْرِيقَ مِنَ الْأُمُورِ النَّسْبِيَّةِ فَكُلُّ بَلَدٍ لَهُ عَرَبٌ قَدْ يَكُونُ شَرْقًا لِغَيْرِهِ، وَلَهُ شَرْقٌ قَدْ يَكُونُ عَرَبًا لِغَيْرِهِ.

فَالاعْتِبَارُ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا كَانَ عَرَبًا وَشَرْقًا لَهُ حَيْثُ تَكَلَّمَ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَهِيَ الْمَدِينَةُ»<sup>(١)</sup>.

وقال: «وَمَنْ يَتَدَبَّرَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ<sup>(٢)</sup> هِيَ أَقْوَمُ الطَّوَائِفِ بِيَدِينِ الْإِسْلَامِ: عُلَمَاءَ وَعَمَلَاءَ وَجِهَادًا عَنْ شَرْقِ الْأَرْضِ وَعَرَبِيَّهَا؛ فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ أَهْلَ الشُّوْكَةِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ، وَمُعَازِيهِمْ مَعَ النَّصَارَى

(١) «مجموع الفتاوى» (٥٠٧/٢٧)، وينظر: «مجموع الفتاوى» (٤٤٦/٤).

(٢) يقصد أهل الشام.

وَمَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ التُّرْكِ، وَمَعَ الزَّنَادِقَةِ الْمُتَأَفِّقِينَ مِنَ الدَّاخِلِينَ فِي الرِّافِضَةِ وَغَيْرِهِمْ  
كَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ مِنَ الْقَرَامِطَةِ مَعْرُوفَةً: مَعْلُومَةٌ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

وَالْعِزُّ الَّذِي لِلْمُسْلِمِينَ بِمَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا هُوَ بَعْزُهُمْ.

وَلِهَذَا لَمَّا هُزِمُوا سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتْمِائَةَ دَخَلَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنَ الدُّلِّ  
وَالْمُصِيبَةِ بِمَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ<sup>(١)</sup>.

فاجتمع لأهل الشام بتلك النصوص النبوية الصحيحة عدّة أوصاف: أنّهم أهل جهادٍ  
في سبيل الله، يُقاتلون على الحقّ، ظاهرُونَ على من نأواهم وعاداهم، منصُورون، لا  
يُضُرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

وهذا الحديث «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين...» حديث متواتر، نص على ذلك:  
شيخ الإسلام ابن تيمية، والسيوطي، والكتاني، والألباني، وغيرهم.

وقوله فيه: «لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم» المقصود نفي الضرر عن دينهم،  
فإنهم مهما خالفهم المخالفون وخذلهم الخاذلون، فهم ثابتون على الإيمان واثقون  
بوعد الله.

أما حصول الأذى والضّر في النفس أو المال أو الأهل فلا يدخل في ذلك؛ فإن  
ذلك حاصل لهم أصلاً دون خذلان من أحد، وهو من مصائب الدنيا التي تصيب الناس  
عموماً، وخاصة أهل الجهاد منهم.

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٥٣٢).

ولذلك قال: «لا يضرهم»، ولم يقل: لا يؤذيهم؛ لأن الأذية قد تحصل، لكن لا تضر، وفرق بين الضرر والأذى، كما قال تعالى: «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى»<sup>(١)</sup>.

وأكثر الأحاديث الواردة في الطائفة المنصورة تنص على الجهاد، وكثير منها يحدد بلاد الشام، وفي ذلك إشارة إلى أن بقاء الإسلام وأهله مرتبط بالجهاد في سبيل الله وقتال أعداء الله، وهذا ماض إلى يوم القيامة، ولأهل الشام الحظ الأوفر والنصيب الأكمل من ذلك، وخاصة آخر الزمان.

ولا معارضة بين تفسير من فسر الطائفة المنصورة بالمجاهدين، وتفسير من فسرهم بأهل العلم؛ فإن هذين الصنفين لا يعلو الحق ولا ينقمع الباطل إلا بهما؛ فبالجهاد تعلق كلمة التوحيد وينقمع الشرك، وبالعلم يعلو منهج أهل السنة ويبطل منهج أهل البدعة.

ولا يزال في الأمة من هذين الصنفين من ينصر دين الله وينافح عن شرائعه، فالجهاد جهادان: بالعلم وبالسنان.

قال الحافظ ابن رجب: «وأما من قال من العلماء: إن هذه الطائفة المنصورة هم أهل الحديث، كما قاله ابن المبارك، ويزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، والبخاري وغيرهم، فإنه غير مناف لما ذكرناه؛ لأنّ الشام في آخر الزمان بها يستقر الإيمان وملك الإسلام، وهي عقر دار المؤمنين، فلا بد أن يكون فيها من ميراث النبوة من العلم ما يحصل به سياسة الدين والدنيا، وأهل العلم بالسنة النبوية بالشام هم الطائفة المنصورة القائمون بالحق الذين لا يضرهم من خذلهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: «مجموع فتاوى ابن عثيمين» (٨/ ٦٩١).

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢١١).

وقال شيخ الإسلام: «وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيَّزَ أَهْلَ الشَّامِ بِالْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ دَائِمًا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، وَبِأَنَّ الطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ فِيهِمْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ».

فَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ أَمْرٍ دَائِمٍ مُسْتَمِرٍّ فِيهِمْ مَعَ الْكَثْرَةِ وَالْقُوَّةِ، وَهَذَا الْوَصْفُ لَيْسَ لِغَيْرِ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ الْحِجَازَ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْإِيمَانِ نَقَصَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ وَالنَّصْرُ وَالْجِهَادُ، وَكَذَلِكَ الْيَمَنُ وَالْعِرَاقُ وَالْمَشْرِقُ.

وَأَمَّا الشَّامُ فَلَمْ يَزَلْ فِيهَا الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ وَمَنْ يُقَاتِلْ عَلَيْهِ مَنصُورًا مُؤَيَّدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ<sup>(١)</sup>.

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/٤٤٩)

## ٨ - الشَّامُ هِيَ أَرْضُ الرِّبَاطِ، وَمَعْقِلُ الْجِهَادِ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ

لذا كان صالحو المؤمنين من هذه الأمة يحرسون على الرباط في الثغور الشامية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «كَانَ صَالِحُو الْمُؤْمِنِينَ يُرَابِطُونَ فِي الثُّغُورِ: مِثْلُ مَا كَانَ الْأَوْزَاعِيُّ وَأَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ وَمَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَيُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطَ وَغَيْرَهُمْ: يُرَابِطُونَ بِالثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَجِيءُ مِنْ خِرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِهِمَا لِلرِّبَاطِ فِي الثُّغُورِ الشَّامِيَّةِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الشَّامِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُقَاتِلُونَ النَّصَارَى أَهْلَ الْكِتَابِ.

وَهَذِهِ السَّوَاكِلُ الشَّامِيَّةُ كَانَتْ تُعُورًا لِلْإِسْلَامِ إِلَى أَثْنَاءِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ...

فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ اضْطَرَبَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَصَارَ لِلرَّافِضَةِ وَالْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ دَوْلَةٌ وَمُلْكٌ بِالْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَبِالْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ وَبِأَرْضِ الشَّامِ، وَغَلَبَ هَؤُلَاءِ عَلَى مَا غَلَبُوا عَلَيْهِ مِنَ الشَّامِ: سَوَاحِلِهِ وَغَيْرِ سَوَاحِلِهِ، وَهُمْ أُمَّةٌ مَخْذُولَةٌ لَيْسَ لَهُمْ عَقْلٌ وَلَا نَقْلٌ وَلَا دِينٌ صَحِيحٌ وَلَا دُنْيَا مَنْصُورَةٌ.

فَعَلَبَتِ النَّصَارَى عَلَى عَامَّةِ سَوَاحِلِ الشَّامِ؛ بَلْ وَكَثُرَ بِلَادِ الشَّامِ وَقَهَرُوا الرُّوَافِضَ وَالْمُنَافِقِينَ وَغَيْرَهُمْ وَأَخَذُوا مِنْهُمْ مَا أَخَذُوا إِلَى أَنْ يَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِوِلَايَةِ مُلُوكِ السُّنَّةِ مِثْلُ «نُورِ الدِّينِ» وَ«صَلَاحِ الدِّينِ» وَغَيْرِهِمَا: فَاسْتَنْقَذُوا عَامَّةَ الشَّامِ مِنَ النَّصَارَى.

وَبَقِيَتْ بَقَايَا الرُّوَافِضِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي جَبَلِ لُبْنَانَ وَغَيْرِهِ وَرَبَّمَا غَلَبَهُمُ النَّصَارَى عَلَيْهِ حَتَّى يَصِيرَ هَؤُلَاءِ الرَّافِضَةَ وَالْمُنَافِقُونَ فَلَاحِينَ لِلنَّصَارَى»<sup>(١)</sup>.

وقد شهدت الشام في تاريخها الماضي معارك عديدة، رفعت فيها راية الإسلام، وكبت فيها العدو الشانئ؛ فقد شهدت: اليرموك، وعين جالوت، وحنّين، وكانت هذه المعارك معارك مفصّليّة في تاريخ الأُمّة الإسلاميّة.

ففي معركة اليرموك انتهت الدولة البيزنطية، وفي حطين تحطمت جيوش الصليبيين، وفتح بيت المقدس.

وفي عين جالوت انتهى غزو التتار لبلاد الإسلام، وتحوّل التتار من قوة شرسة كافرة إلى مسلمين يرفعون لواء الإسلام، ولواء السنّة.

## ٩ - والشام: حرام على منافقيها أن يظهروا على مؤمنينا

روى الإمام أحمد (١٥٦٣٥) عن خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو صحابي شهد الحديبية - قال: «أَهْلُ الشَّامِ سَوَطُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، يَتَّقِمُ بِهِمْ مِمَّنْ يَشَاءُ، كَيْفَ يَشَاءُ، وَحَرَامٌ عَلَيَّ مُنَافِقِيهِمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيَّ مُؤْمِنِيهِمْ، وَلَنْ يَمُوتُوا إِلَّا هَمًّا أَوْ غَيْظًا أَوْ حُزْنًا»<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام: «وَبِهَذَا اسْتَدَلَّتْ لِقَوْمٍ مِنْ قُضَاةِ الْقَضَاةِ وَعَبْرِهِمْ فِي فَتَنِ قَامَ فِيهَا عَلَيْنَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْفُجُورِ وَالْبِدْعِ الْمُؤْصِفِينَ بِخِصَالِ الْمُنَافِقِينَ لَمَّا خَوْفُونَا مِنْهُمْ، فَأَخْبَرْتَهُمْ أَنَّ مُنَافِقِينَ لَا يُغْلِبُوا مُؤْمِنِينَ».

وَقَدْ ظَهَرَ مِصْدَاقُ هَذِهِ النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ عَلَيَّ أَكْمَلِ الْوُجُوهِ فِي جِهَادِنَا لِلتَّارِ، وَأَظْهَرَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ صِدْقَ مَا وَعَدْنَاهُمْ بِهِ، وَبَرَكَتَهُ مَا أَمَرْنَاهُمْ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فَتْحًا عَظِيمًا مَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ مِثْلَهُ مُنْذُ خَرَجَتْ مَمْلَكَةُ التَّارِ الَّتِي أَدَلَّتْ أَهْلَ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَهْزَمُوا وَيُغْلِبُوا كَمَا غَلِبُوا عَلَيَّ بَابِ دِمَشْقَ فِي الْغَزْوَةِ الْكُبْرَى الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ بِمَا لَا نُحْصِيهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا»<sup>(٢)</sup>.

(١) صححه الألباني في «الضعيفة» (١/٦٩) موقوفا على خريم بن فاتك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/٥١٠)

## ١٠ - والشام عقر دار المؤمنين

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ<sup>(١)</sup>، وَوَضَعُوا السَّلَاحَ، وَقَالُوا: لَا جِهَادَ، قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا<sup>(٢)</sup>.

فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: «كَذَّبُوا، الْآنَ الْآنَ جَاءَ الْفِتْنَالُ<sup>(٣)</sup>، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّنِي أُمَّةٌ يُفَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيَزِيغُ اللَّهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَزُرُّهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ<sup>(٤)</sup>، وَحَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودَةٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...، وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ: الشَّامُ»<sup>(٥)</sup>.

قال ابن الأثير: «أي أصله وموضعها، كأنه أشار به إلى وقت الفتن: أي يكون الشام يومئذ آمنًا منها، وأهل الإسلام به أسلم»<sup>(٦)</sup>.

والعقر والعقار: خيار كل شيء وأصله<sup>(٧)</sup>. وعُقْرُ الدار: أصلها، كما قال الأصمعي،

(١) أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها.

(٢) أي انقضى أمرها وخفت أثقافها فلم يبق قتال.

(٣) التكرار للتأكيد، أي: الآن اشتد القتال، فإنهم قبل ذلك كانوا في أرضهم، واليوم جاء وقت الخروج إلى الأراضي البعيدة.

(٤) أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث بالردة التي تقع ممن أراد الله تعالى أن يزيغ قلبه عن الإسلام، ومقاتلة المسلمين هؤلاء المرتدين وغنمة أموالهم.

(٥) رواه النسائي (٣٥٦١) بإسناد على شرط مسلم كما قال الألباني.

(٦) «النهاية» (٣/٥٢٩).

(٧) «فيض القدير» (٤/٤٢١).



والعرب تقول: عُقْرُ الكَلَاءِ وَعُقَارُ الكَلَاءِ، أَي: خيارٌ ما يُرعى من نبات الأرض وَيُعْتَمَدُ عليه، بمنزلة الدار، وهذا البيت عُقْرُ القصيدة، أَي: أَحْسَنُ أبياتها<sup>(١)</sup>.

---

(١) «لسان العرب» (٤/٥٩١).

## ١١- والشام حصن حصين أيام الملاحم والفتن

كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتْنُ بِالشَّامِ»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود (٢٤٨٢) وأحمد (٦٨٣٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ<sup>(٢)</sup>، فَخِيَارُ أَهْلِ الْأَرْضِ الزَّمِيمُ مُهَاجِرَ إِبْرَاهِيمَ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا<sup>(٣)</sup>، تَلْفِظُهُمْ أَرْضُهُمْ<sup>(٤)</sup>، وَتَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْحَنَازِيرِ»<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>.

قال الخطابي: «معنى الهجرة الثانية الهجرة إلى الشام، يُرَغَّبُ فِي الْمَقَامِ بِهَا، وَهِيَ مُهَاجِرَ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ»<sup>(٧)</sup>.

وقال شيخ الإسلام: «فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ الزَّمِيمُ مُهَاجِرَ إِبْرَاهِيمَ؛ بِخِلَافِ مَنْ يَأْتِي إِلَيْهِ أَوْ يَذْهَبُ عَنْهُ، وَمُهَاجِرُ إِبْرَاهِيمَ هِيَ: الشَّامُ»<sup>(٨)</sup>.

فخيار أهل الأرض يهاجرون في آخر الزمان إلى الشام، ولا يترك الهجرة إليها إلا شرار الناس.

(١) رواه أحمد (٢١٢٢٦) وصححه البيهقي، والحافظ في «الفتح»، والألباني.

(٢) أي: ستكون هجرة إلى الشام بعد هجرة كانت إلى المدينة.

(٣) من الكفار والفجّار.

(٤) أي ترميهم أرضهم، والمعنى: ترمي الأرض شرار الناس من ناحية إلى أخرى.

(٥) أي تجمعهم وتسوقهم النار فيفرون مخافة النار مع البهائم من القردة والحنازير، وليس هذا حشر يوم القيامة، ينظر: مرقاة المفاتيح (٤٠٤٠/٩).

(٦) صححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٠٣).

(٧) «معالم السنن» (٢/٢٣٦).

(٨) «مجموع الفتاوى» (٥٠٩/٢٧).

## ١٢ - الشَّامُ هِيَ أَرْضُ الْمُحْشَرِ وَالْمُنْشَرِ

عَنْ أَبِي دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشَّامُ: أَرْضُ الْمُحْشَرِ وَالْمُنْشَرِ»<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت عدّة أحاديث تدلُّ على أن الناس تحشرهم النار التي تخرج من جهة اليمن أو حضرموت إلى المغرب، أي: بلاد الشام.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتُخْرَجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ أَوْ مِنْ نَحْوِ بَحْرِ حَضْرَمَوْتٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، تَحْشُرُ النَّاسَ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟

قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ»<sup>(٢)</sup>.

«فأشار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالشام عند خروج النار؛ لعلمه بأنها خير للمؤمنين حينئذٍ من غيرها، والمستشار مؤتمن»<sup>(٣)</sup>.

وروى أحمد (١٩٥٢٠) بسند جيد<sup>(٤)</sup> عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«تُحْشَرُونَ هَاهُنَا - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَحْوِ الشَّامِ - مُشَاءَةً، وَرُكْبَانًا، وَعَلَى وَجُوهِكُمْ».

قال الحافظ ابن كثير: «فَهَذِهِ السِّيَاقَاتُ تُدَلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَشْرَ هُوَ حَشْرُ الْمَوْجُودِينَ

(١) «مسند البزار» (٣٨٢ / ٩)، وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (٢١٤٣) وصححه الألباني.

(٣) «ترغيب أهل الإسلام» ص ٤

(٤) ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (٣٨٠ / ١١).

فِي آخِرِ الدُّنْيَا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ إِلَى مَحَلَّةِ الْمَحْشَرِ، وَهِيَ أَرْضُ الشَّامِ، وَأَنَّهُمْ يَكُونُونَ عَلَى  
أَصْنَافٍ ثَلَاثَةٍ: فَتَقْسَمُ طَاعِمِينَ كَأَسِينِ رَاكِبِينَ، وَقَسَمٍ يَمْشُونَ تَارَةً وَيَرْكَبُونَ أُخْرَى، وَهُمْ  
يَعْتَقِبُونَ عَلَى الْبَعِيرِ الْوَاحِدِ...، وَتَحْشُرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ، وَهِيَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ، فَتُحِيطُ  
بِالنَّاسِ مِنْ وَرَائِهِمْ، تَسُوفُهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ، وَمَنْ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَكَلَتْهُ.

وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يُدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ آخِرِ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>.

**فالشام هي أرض المحشر:** يحشر الناس إليها قبل القيامة من أقطار الأرض.

فيهاجر إليها خيار أهل الأرض طوعاً ويجتمعون فيها، وأما شرار الناس فيحشرون  
كرهاً، تحشرهم النار من بلادهم إلى الشام<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو قال: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق  
بالشام»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ حُدَيْفَةَ، قَالَ: «لَيَأْتِينَ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ لِلرَّجُلِ أَحْمَرَةٌ يَحْمِلُ عَلَيْهَا إِلَى  
الشَّامِ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ عَرْضِ الدُّنْيَا»<sup>(٤)</sup>.

**وهي أرض المنشر:** فمنها يُجمع الناس إلى الحساب، فينشرون من قبورهم، ثم  
يساقون إليها.

(١) «البداية والنهاية» (١٩/ ٣٣٢).

(٢) ينظر: «لطائف المعارف» (ص: ٨٨-٨٩)، «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٣٨).

(٣) رواه الحاكم (١٣/ ٨٤) وصححه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٢٧/ ٣٨٤) بسند رجاله ثقات.

وُحُصَّتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]،  
وَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ بَعَثُوا مِنْهَا، فَانْتَشَرَتْ فِي الْعَالَمِينَ شَرَائِعَهُمْ، فَنَاسِبٌ كَوْنُهَا أَرْضَ الْمُحْشَرِ  
وَالْمُنْشَرِ<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب: «جعل الله الشام منتهى الخلق والأمر، ففي آخر الزمان  
يستقر الإيمان وأهله بالشام، وهي أرض المحشر والنشر للأنام»<sup>(٢)</sup>.

(١) «فيض القدير» (٤ / ١٧١)

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣ / ١٧٩)

## ١٣- وفي الشام تكون الملاحم الكبرى آخر الزمان

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup> يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ<sup>(٢)</sup> بِالْغُوطَةِ<sup>(٣)</sup> إِلَى جَانِبِ مَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»<sup>(٤)</sup>.

ومعنى الحديث: أن حصن المسلمين الذي يتحصنون به يوم المقتلة العظمى في الفتن بغوطة دمشق.

«وَهَذَا الْحَدِيثُ يُدَلُّ عَلَى فَضِيلَةِ دِمَشْقٍ وَعَلَى فَضِيلَةِ سُكْنَاهَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَأَنَّهَا حِصْنٌ مِنَ الْفِتَنِ.

وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهُ دَخَلَتْهَا عَشْرَةَ آلَافٍ عَيْنِ رَأَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا أَفَادَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ، وَدَخَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَفِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ»<sup>(٥)</sup>.

وعن ابن محيريز قال: «خير فوارس تظل السماء: فوارس من قيس، يخرجون من غوطة دمشق، يقاتلون الدجال»<sup>(٦)</sup>.

(١) أي حصن المسلمين الذي يتحصنون به وأصل الفسطاط: الحَيْمَةُ، والمراد: المكان الذي يجتمع فيه المسلمون، ويتميز صفهم من فسطاط النفاق والكفر.

(٢) وهي معركة كبيرة هائلة تقع بين المسلمين والصلبيين في آخر الزمان.

(٣) موضع بالشام كثير الماء والشجر، قال ابن الأثير: «الغوطة اسم البساتين والمياه التي حول دمشق، وهي غوطتها». «النهاية» (٣/ ٧٤٤).

(٤) رواه أبو داود (٤٢٩٨) وصححه الألباني.

(٥) «عون المعبود» (١/ ٢٧٤).

(٦) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٢٧٢).

وقال إبراهيم بن الجنيّد: سمعت يحيى بن معين وقد ذكروا عنده أحاديث من ملاحم الروم، فقال يحيى: «ليس من حديث الشاميين شيء أصح من حديث: مقل المسلمین أيام الملاحم دمشق»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري (٢٩٤٠) عن عوف بن مالك قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وهو في قبة من آدم، فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقصاص الغنم»<sup>(٢)</sup>، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل سائحاً<sup>(٣)</sup>، ثم فتنة لا يبقی بيت من العرب إلا دخلته<sup>(٤)</sup>، ثم هذنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدروا، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً.

وعند أحمد بسند جيد<sup>(٥)</sup> (٢٣٤٦٥): (والسادسة: هذنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيسيروا إليكم على ثمانين غاية.

قلت: وما الغاية؟

قال: الرأية، تحت كل رأية اثنا عشر ألفاً، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها العوطة، في مدينته يقال لها دمشق).

(١) «تاريخ دمشق» (١/ ٢٣١)

(٢) وهو داء يصيب الغنم، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجاءة، وكذلك غيرها من الدواب. ينظر: «عمدة القاري» (١٥/ ١٠٠).

(٣) وقد ظهر هذا في خلافة عثمان بعد الفتوح العظيمة. ينظر: فتح الباري (٦/ ٢٧٨).

(٤) والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان واستمرت الفتن بعده. ينظر: «فتح الباري» (٦/ ٢٧٨).

(٥) كما ذكر ابن عبد الهادي في رسالته «فضائل الشام»، ينظر «مجموع رسائل ابن عبد الهادي» ص ٢٥٧.

فيوم الملحمة يوم عظيم، الشام يومئذ حصن المسلمين وملاذهم من الفتن،  
وجنودها من خير أجناد الأرض.

وروى مسلم (٢٨٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ  
السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزَلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقِ<sup>(١)</sup>، فَيُخْرَجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ<sup>(٢)</sup> مِنْ  
خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ.

فَإِذَا تَصَافَوْا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْنَا مِنَّا نَقَاتِلُهُمْ.

فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ، لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا.

فَيَقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزُهُمْ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ  
اللَّهِ، وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ لَا يَفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ.

فَبَيْنَمَا هُمْ يَفْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّبْتُونَ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ  
الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِكُمْ! فَيُخْرَجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ.

فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعَدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسُوونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ،  
فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي  
الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْدَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيَرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ».

(١) موضع بالشام قرب حلب.

(٢) المراد بها مدينة حلب، لأنها المدينة القريبة من مرج دابق، وقيل: المراد المدينة النبوية، وقال في مرقاة المفاتيح  
(٨/١٢٤٣): «قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ، قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا حَلَبٌ، وَالْأَعْمَاقُ وَدَابِقُ مَوْضِعَانِ بِقُرْبِهِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا دِمَشْقُ،  
وَقَالَ فِي الْأَنْبَاءِ: وَأَمَّا مَا قِيلَ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا مَدِينَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَعِيفٌ».



وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وَقَعَتِ الْمَلَاحِمُ خَرَجَ بَعْتُ مِنْ دِمَشْقٍ مِنَ الْمَوَالِي هُمْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ فَرَسًا، وَأَجْوَدُهُمْ سِلَاحًا يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الحاكم (٨٦٤٦) وصحَّحه على شرط البخاري، وقال الذهبي: على شرط مسلم، وحسنه الألباني في «الصحیحة» (٢٧٧٧).

## ١٤ - وبالشام ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ فِي حَدِيثِ الدَّجَالِ الطَّوِيلِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...فَيُنَزَّلُ مِنْ سَمَاءٍ كَاللُّؤْلُؤِ<sup>(١)</sup>، وَأَضْعَا كَفَيْهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَئِينَ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ<sup>(٢)</sup>، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيُطَلَّبُهُ<sup>(٣)</sup> حَتَّى يُدْرِكَهُ بَابٌ لُدِّفِيَتْهُ...»<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلف في المقصود بهذه المنارة، هل هي المنارة الشرقية للمسجد الأموي<sup>(٥)</sup>، أم هي المنارة الموجودة في شرقي دمشق، فيما يسمى اليوم بـ «باب شرقي». قال النووي: «وَهَذِهِ الْمَنَارَةُ مَوْجُودَةٌ الْيَوْمَ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ»<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن رجب الحنبلي: «وظاهر ما تقدم من الأحاديث والآثار يدل على أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل عند باب مدينة دمشق الشرقي.

وقد ذهب طائفة إلى أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي مسجد دمشق الجامع، وهو مخالف للظاهر»<sup>(٧)</sup>.

(١) معناه لايس مهرودين، أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران.

(٢) الجمان هي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسمي الماء جمانا لشبهه به في الصفاء.

(٣) أي للدجال.

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٥) ينظر: «البداية والنهاية» (٩ / ٣٠٤).

(٦) «شرح صحيح مسلم» (١٨ / ٦٧).

(٧) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣ / ٢٧٦).

## ١٥ - وهلاك الدجال يكون بالشام

فتنة المسيح الدجال أكبر فتنة تكون منذ خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى يوم القيامة؛ ومما منَّ الله به على الشام وأهله أن قتل الدجال يكون بأرض الشام.

وهو مما يدل على أن أرض الشام أرض الملاحم العظام والوقائع الجسام، والتي يكون فيها شأن الإسلام عاليًا ورايته مرفوعة، فإذا سقطت راية العزّ الخفاقة ببلاد الشام لم تُرفع بعدها أبدًا.

روى مسلم (١٣٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يَأْتِي الْمَسِيحُ<sup>(١)</sup> مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرُ أَحَدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ».

(١) يعني الدجال.

## ١٦- والشام معقل المسلمين من يأجوج ومأجوج

في حديث النواس بن سمعان عند مسلم (٢٩٣٧) بعد ذكر مقتل الدجال قال: «ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَيَسْمَعُ هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عَبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرَّرْتُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ<sup>(١)</sup>، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ.. فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغْفَ<sup>(٢)</sup> فِي رِقَابِهِمْ فَيُضْبِحُونَ فَرَسِي<sup>(٣)</sup> كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ».

ف عند باب لُد - وهو موضع بالشام - يُقتل الدجال.

وعند جبل الطور - وهو بالشام - يكون الاحتراز من فتنة يأجوج ومأجوج.

ثم يأذن الله بالخير والبركة وغبطة العيش.

فالحاصل أن: «الشام تبقى عامرةً فيها أهلها بعد خراب المدينة، وبعد خروج الدَّجَال، ونزول عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وبعد ظهور النَّار التي هي من أول أشراط الساعة، وبعد بعث الله الرِّيحَ الطَّيِّبَةَ التي تقبض أرواح المؤمنين»<sup>(٤)</sup>.

«فإذا كان الشام وأهله عند الله بهذه المنزلة، وكانوا في حراسته وكفالتهم، ودلت الأدلة

(١) أي ضمهم واجعله لهم حرزا.

(٢) وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة: نَغْفَةٌ.

(٣) أي قتل.

(٤) «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ٢٣٥).

على أَنَّ دمشق خير بلاد الشام - يعني: بعد بيت المقدس -؛ فلذلك أخبر السلفُ وشاهد الخلفُ: أَنَّ مَنْ مَلَكَ دمشق، فبسط على أهلها الفضل ونشر فيهم العدل؛ فَإِنَّ النصر ينزل عليه من السماء، مع ما يحصل له من وُدِّ في قلوب الأبرار والعلماء والأخيار، ومع ما يُلقيه الله تعالى من الرُّعب في قلوب الأعداء.

وَمَنْ عاملهم بخلاف ذلك؛ فأحلَّ بهم شيئاً من الضراء، وأنزل بهم نوعاً من البأساء، أو أخذهم بالجبروت والكبرياء؛ فَإِنَّ الله - تعالى - لا يُمهله، ولا يمهله، بل يُعاجله باستلاب ملكه في حياته، أو بإلقائه في أنواع البلاء وأبواب الشقاء؛ وذلك أنهم في كفالة ربِّ الأرض والسماء، كما أخبر به خاتم الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

ولكن لا بد أن نعلم أن قداسة البلاد وفضلها لا تنفع الإنسان إذا لم يصحب ذلك عمل صالح.

فالفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان، إنما هي في الإيمان والعمل الصالح، فأَي مكان وأي زمان كان أعونٌ للعبد على هذا المقصود كان أفضل في حقه، وأتم لدرجته عند ربه.

فَعَن عبد الله بن هُبَيْرَةَ قَالَ: كَتَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى سَلْمَانَ: أَنَّ هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَأَرْضِ الْجِهَادِ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَلِي الْقَضَاءَ بِالشَّامِ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَلْمَانُ: «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدَّسُ أَحَدًا، وَإِنَّمَا يُقَدَّسُ الْمَرْءَ عَمَلُهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «ترغيب أهل الإسلام» ص ١٠، بتصرف.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١٥٠٠)، والدينوي في «المجالسة وجواهر العلم» (٦٩/٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٠١٩/٥).

## الْعِلْمُ وَالْعِلْمَاءُ فِي بِلَادِ الشَّامِ

ما زالت الشام منارةً للعلم والعلماء على مر التاريخ، جذابةً للعلماء، يرحلون إليها، ويقطنون بها، من عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى يومنا هذا.

قال ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ: «الشام موضع الأنبياء والمرسلين، ومركز الأولياء والصالحين»<sup>(١)</sup>.

وقد نزل بها عددٌ كبيرٌ من صحابة رسول الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فمنهم مَنْ كان في جيش الفتح، ومنهم مَنْ دخلها بعد ذلك.

حتى قال الوليد بن مسلم: «دَخَلَتِ الشَّامَ عَشْرَةُ آلَافٍ عَيْنَ رَأْتِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»<sup>(٢)</sup>!

وعنهم أخذَ الْعِلْمَ جملةً وفيرةً من علماء التابعين وساداتهم.

### فَمَنْ نَزَلَهَا مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ:

من القادة والأمرأء: أبو عُبَيْدَةَ عامر بن الْجِرَّاحِ، وخالد بن الوليد، وشَرْحِبِيل بن حسنة، وعياض بن غَنَمِ الْفِهْرِيِّ، وشَرْحِبِيل بن السَّمْطِ الْكَنْدِيِّ، وحبيب بن مسلمة الْفِهْرِيِّ، وسعيد بن عامر الْجُمَحِيِّ، وفضالة بن عُبَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ، ومعاوية بن أَبِي سَفْيَانَ، مؤسس الدولة الأموية بالشام.

(١) «مشاهير علماء الأمصار» (١/ ٨٤).

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٣٢٧).

وهؤلاء كلهم من الأمراء القادة، الذين تتابعوا على ولاية الشام وأقطارها.

ومن عامة الصحابة: بلال بن رباح، وسعد بن عبادة، وأبو مالك الأشعري، وأبو ذرّ الغفاري، والفضل بن العباس بن عبد المطلب، وعوف بن مالك الأشجعي، وثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو الدرداء، وشَدَّاد بن أوس، وواثلة بن الأسقع، والعرباض بن سارية، وأبو أمامة الباهلي، وتميم الدَّاري، والمِقْدَام بن مَعْدِي كَرِب، وغيرهم كثير، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعاً.

### ومن علماء الشام على مر القرون:

✽ أبو مسلم الخولاني (ت ٦٢هـ): الفقيه العابد الزاهد، ريحانة الشام، وقارئهم، من سادات التابعين، كان يُقال عنه: حكيم هذه الأمة.

✽ وعبد الرحمن بن عَمِّ الأشعري (ت ٧٨هـ): فقيه الشام وشيخ أهل فلسطين، بعثه عمر إلى الشام ليفقه أهلها؛ فتفقه عليه تابعو أهل الشام.

✽ وأبو إدريس الخولاني، (ت ٨٠هـ): عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء، وقاضي دمشق أيام عبد الملك بن مروان، كان من أهل الفقه في الدِّين.

✽ وقبيصة بن ذؤيب (ت ٨٦هـ): الإمام الكبير الفقيه، قال الزهري: «كان قبيصة ابن ذؤيب من علماء هذه الأمة»<sup>(١)</sup>.

✽ وبلال بن أبي الدرداء الأنصاري (ت ٩٣هـ): قاضي دمشق، قال الإمام البخاري: «بلال أمير الشام»<sup>(٢)</sup>.

(١) «السير» (٤/ ٢٨٢).

(٢) «السير» (٤/ ٢٨٥).

✽ وعمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ): أمير المؤمنين، الإمام العادل، والعالم العامل، المجتهد العابد الزاهد، بُويِع له بالخلافة في مسجد دمشق؛ فنهضت في عصره مدرسة الشام نهضة علمية كبيرة.

✽ وبلال بن سعد السكوني (توفي بعد ١١٠هـ): الإمام الرباني الواعظ، شيخ أهل دمشق وقارئهم، كان لأهل الشام كالحسن البصري بالعراق، قال الأوزاعي: «لم أسمع واعظاً قط أبلغ من بلال بن سعد»<sup>(١)</sup>.

✽ ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ): من أجلة التابعين الفقهاء، وشيخ أهل الشام وسيدهم، وكبير الدولة الأموية. روى عن: معاوية بن أبي سفيان، وأبي أمامة صديي ابن عجلان.

✽ ومكحول الشامي (ت ١١٣هـ): إمام أهل الشام وأفقههم في زمانه، لم يكن في زمانه أبصر بالفتيا منه، وهو شيخ الأوزاعي. قال سعيد بن عبد العزيز: «كان أفقه أهل الشام، وكان أفقه من الزهري»، وقال عنه الزهري: «العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة... ومكحول بالشام»<sup>(٢)</sup>.

✽ وعبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ): إمام أهل الشام في القراءة، وأحد القراء السبعة.

✽ وسليمان بن موسى الأشدق (ت ١١٩هـ): الإمام الكبير الفقيه، مفتي دمشق،

(١) «السير» (٩٠/٥).

(٢) «تاريخ دمشق» (١٩٧/٦٠)، و«السير» (١٥٥/٥).



قال سعيد بن عبد العزيز: «كان أعلم أهل الشام بعد مكحول، ولو قيل لي: مَنْ أعلم الناس؟ لأخذت بيد سليمان»<sup>(١)</sup>.

✽ والأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو (ت ١٥٧ هـ): شيخ الإسلام، وإمام أهل الشام في الفقه والزُّهد، قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وصار يُعمل بمذهبه في الشام نحو مائتي سنة.

✽ وسعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقيّ (ت ١٦٧ هـ): فقيه أهل دمشق ومُفتيهم بعد الأوزاعي، قال عنه الحاكم: «هو لأهل الشام كمالك لأهل الحجاز في التقدّم والفقه»<sup>(٢)</sup>.

✽ وأبو إسحاق الفزاري (ت ١٨٦ هـ)، الإمام الكبير، الحافظ، المجاهد، قال الشافعي: «لم يصنف أحد في السير مثل كتاب أبي إسحاق». وقال أبو حاتم: «اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمام يقتدى به، بلا مدافعة»<sup>(٣)</sup>.

✽ والوليد بن مسلم الدمشقي (ت ١٩٥ هـ): الإمام الحافظ، عالم أهل دمشق في عصره، كان من أوعية العلم وحفّاظ الحديث، قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما رأيتُ في الشاميين أعقل منه»<sup>(٤)</sup>.

✽ وأبو سليمان الداراني (ت ٢٠٥ هـ): الإمام الزَّاهد الصالح.

(١) «السير» (٥/٤٣٣).

(٢) «تاريخ دمشق» (٢١/١٩٣)، و«تذكرة الحفّاظ» (١/١٦١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٨/٥٣٩).

(٤) «تذكرة الحفّاظ» (١/٢٢١)، و«السير» (٩/٢١١).

✽ وعبد الله بن ذكوان (ت ٢٤٢هـ): مقرر دمشق وإمام الجامع، قال أبو زرعة الدمشقي: «لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه»<sup>(١)</sup>.

✽ وهشام بن عمار (ت ٢٤٥هـ): شيخ أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومُحدِّثهم ومُفتيهم، أحد شيوخ البخاري وأبي داود والنسائي وغيرهم.

✽ ودُحيم عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي (ت ٢٤٥ هـ)، القاضي، الإمام، الفقيه، الحافظ، محدث الشام، وقاضي مدينة طبرية.

✽ وأبو زرعة الدمشقي (ت ٢٨٠هـ): الإمام الحافظ، محدث الشام، صاحب كتاب التاريخ وعِلل الرجال.

✽ وأبو مُسهر الغساني، عبد الأعلى بن مُسهر (ت ٢١٨هـ): شيخ أهل الشام وعالمهم بالحديث والمغازي والأنساب، قال يحيى بن معين: «منذ خرجتُ من بغداد إلى أن رجعتُ ما رأيتُ مثل أبي مسهر»<sup>(٢)</sup>.

✽ ومحمد بن عوف الطائي الحمصي (ت ٢٧٢هـ): محدث الشام، قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما كان بالشام منذ أربعين سنة مثل محمد بن عوف»<sup>(٣)</sup>.

(١) «معرفة القُرَّاء الكبار» (١/١٩٩)

(٢) «التذكرة» (١/٢٧٩)، و«السير» (١٠/٢٢٨).

(٣) «التذكرة» (٢/١٢١)، و«السير» (١٢/٦١٣).

✽ وأبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، الإمام، الحافظ، الثقة، الرحال، الجوال، محدث الإسلام، وصاحب المعاجم الثلاثة.

✽ وعبد الله بن عطية الدمشقي (ت ٣٨٣ هـ): المقرئ المفسر، قيل: كان يحفظ خمسين ألف بيت للاستشهاد على معاني القرآن واللغة.

✽ ونصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي (ت ٤٩٠ هـ): الإمام، شيخ الشافعية بالشام في عصره.

✽ وابن القيسراني، محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧ هـ): الإمام الحافظ، الرَّحَّالَة المؤرِّخ، صاحب (أطراف الغرائب والأفراد)، و(أطراف الكتب الستة)، وغيرهما.

✽ والحافظ أبو القاسم ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ): محدث الشام ومؤرخها، صاحب تاريخ دمشق.

✽ وعبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠ هـ): الإمام الحافظ، صاحب عمدة الأحكام، والكمال في أسماء الرجال .

✽ وابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ): الإمام الفقيه، المجتهد، من أكابر علماء الحنابلة في عصره، صاحب كتاب المغني .

✽ وياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ): الإمام المؤرِّخ، اللُّغوي الأديب، صاحب (معجم البلدان)، و(معجم الأدباء).

✽ وابن أبي الدّم (ت ٦٤٢هـ): الإمام المؤرّخ، من علماء الشافعيّة، قاضي حَمَاة، وُلِدَ وتُوفِّيَ بها، وتفقّه ببغداد وغيرها، صاحب كتاب أدب القاضي .

✽ وضياء الدّين المقدسي (ت ٦٤٣): الإمام الحافظ المحدث، صاحب « الأحاديث المختارة »، بنى بدمشق مدرسة دار الحديث الضيائية المحمّدية، ووقف بها كتبه.

✽ وابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ): الإمام، الفقيه، المحدث، وليّ التدريس في المدرسة الصلاحية بيت المقدس، ثم دار الحديث بدمشق.

✽ وأبو البركات مجد الدين ابن تيمية (ت ٦٥٢هـ): جدّ شيخ الإسلام، الإمام الفقيه المحدث المفسّر، صاحب المنتقى من أحاديث الأحكام، والمحرّر.

✽ وعلم الدين السخاوي الدمشقي (ت ٦٥٧هـ): كان شيخ القراء، وإماماً في العربية، بصيراً باللّغة، فقيهاً مُفتياً، بارعاً في التفسير.

✽ وسلطان العلماء: العز بن عبد السلام، (ت ٦٦٠هـ): الإمام الفقيه، جمع بين فنون العلم من التفسير والفقه والأصول، وبلغ رتبة الاجتهاد، وصنف التصانيف المفيدة، منها القواعد الكبرى والصغرى.

✽ وابن العديم، عمر بن أبي جرادة الحلبي (ت ٦٦٠ هـ): المؤرّخ المشهور، رئيس الشام، صاحب «بُغية الطلب في تاريخ حَلَب»، ومختصره «زبدة الحلب في تاريخ حلب».

✽ وأبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ): المؤرِّخ المحدث، والفقير المجتهد، صاحب كتاب: الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية، وكتاب: الباعث على إنكار البدع والحوادث.

✽ والنووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ): الإمام الفقيه، المجتهد المشهور، والزاهد العابد، من مؤلفاته: المجموع، ورياض الصالحين، والأذكار.

✽ وابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ): المؤرِّخ، الفقيه، صاحب: وفيات الأعيان.

✽ وابن البخاري، فخر الدين علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٩٠هـ): محدث الإسلام ومسند الدنيا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ينشرح صدري إذا أدخلت ابن البخاري بيني وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث»<sup>(١)</sup>.

✽ وشمس الدين البعلبي (ت ٧٠٩هـ): الإمام، الفقيه الحنبلي، المحدث، اللغوي، صاحب (المطلع على أبواب المقيع) في تفسير غريب ألفاظ الفقه الحنبلي، وُلِدَ ونشأ ببعلبك، ونزل دمشق، وتوفي بالقاهرة.

✽ وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): الإمام المشهور، المجتهد، الفقيه، المفسر، القدوة.

✽ وأبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ): المؤرِّخ الجغرافي المشهور، صاحب كتاب: المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ أبي الفداء.

(١) انظر: «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/٤١٤)، والأعلام (٤/٢٥٧).

✽ وبدر الدّين ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) الفقيه، المحدث، القاضي، صاحب الكتاب المشهور (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلّم) و(المنهل الرّويّ في مختصر علوم الحديث النبوي)، وولّي الخطابة بالقدس، والقضاء بمصر والشام، كان من خيار القضاة، وكان صاحب دين وتعبّد ونزاهة.

✽ وعلم الدّين البرزالي (ت ٧٣٩هـ): مؤرّخ الشام، والحافظ المحدث الممتن.

✽ وأبو الحجّاج المزيّ (ت ٧٤٢هـ): الإمام الحافظ المحدث، صاحب: تهذيب الكمال .

✽ وابن عبد الهادي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٤هـ): الإمام الحافظ المحدث، الحنبليّ، صاحب: المحرّر، والعقود الدرّيّة.

✽ وشمس الدّين الذهبي (ت ٧٤٨هـ): الإمام الحافظ، صاحب: سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام.

✽ والسّمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ): الإمام المفسّر، اللّغوي، الشافعي، من أهل حلب، استقرّ واشتهر بالقاهرة، صاحب: الدرّ المصون من علوم الكتاب المكنون، في إعراب القرآن الكريم.

✽ وتقي الدين السّبكي أبو الحسن علي بن عبد الكافي (ت ٧٥٦هـ)، الفقيه الشافعي، والأصولي، اللّغوي، المقرئ.

✽ وابن مفلح، محمد بن مفلح (ت ٧٦٣هـ): الإمام الفقيه، صاحب: الفروع، والآداب الشرعيّة .

✽ وابن قِيَم الجوزيَّة، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ): الإمام الحافظ الفقيه المجتهد، صاحب (زاد المعاد) و(إعلام الموقَّعين) و(مدارج السالكين)، وغيرها من المؤلَّفات النافعة.

✽ والحافظ العلائي أبو سعيد صلاح الدين خليل بن كَيْكَلْدِي الشَّافعي (ت ٧٦١هـ): كان إمامًا في الفقه والأصول، متفننًا في علم الحديث ومعرفة الرجال، ومن تصانيفه: المجموع المذهب في قواعد المذهب، وتلقيح الفهوم في صيغ العموم.

✽ وصلاح الدين الصفدي، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ): الأديب المؤرِّخ، صاحب (الوافي بالوفيات).

✽ والحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): الإمام المفسِّر المؤرِّخ الفقيه، صاحب (التفسير) و(البداية والنَّهاية).

✽ ومحمد بن شاعر الكتبي (ت ٧٦٤هـ): المؤرِّخ، صاحب (فوات الوفيات).

✽ وابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ): الإمام الفقيه المحدث، صاحب (جامع العلوم والحكم) و(شرح علل الترمذي)، وغيرها من المؤلَّفات النافعة.

✽ وابن الجَزَرِيَّ (ت ٨٣٣هـ): شيخ المُقرئين في زمانه، صاحب (النشر في القراءات العشر)، و (المقدِّمة الجزرية)، كان له بدمشق مدرسة سمَّاها (دار القرآن).

✽ وابن اللَّحَّام البعلبي (ت ٨٠٣هـ): الإمام الفقيه الحنبلي المشهور، صاحب (الأخبار العلمية في اختيارات الشيخ تقي الدين ابن تيمية)، و(المختصر في أصول الفقه)، و (القواعد) في الفقه الحنبلي، وُلِدَ ببعلبك.

✽ وسبط ابن العجمي، البرهان الحلبي (ت ٨٤١هـ): الإمام المحدث المشهور، من كبار فقهاء الشافعية، شيخ حلب ومحدثها، صاحب (الاغتباط بمن رُمي من الرواة بالاختلاط).

✽ وبرهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ): صاحب تفسير: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، وهو من البقاع في لبنان.

✽ وأبو الحسن المرادوي الدمشقي الصَّالِحِي الحنبلي (ت ٨٨٥هـ)، تصدى للإقراء بدمشق ومصر وللإفتاء، وانتهت إليه رئاسة المذهب، ومن كتبه: الإنصاف في معرفة الرَّاجِح من الخلاف، وهو عالم متقن مُحَقِّق لكثير من الفنون، منصف منقاد إلى الحق، متعفف ورع.

✽ ونجم الدين الغزي الدمشقي (ت ١٠٦١هـ): المؤرِّخ، المُحدِّث، الفقيه، صاحب (الكواكب السائرة في تراجم أعيان المائة العاشرة).

✽ وابن العماد (ت ١٠٨٧هـ): الفقيه، المؤرِّخ، صاحب (شذرات الذهب في أخبار من ذهب).

✽ وعبد القادر التغلبي (ت ١١٣٥هـ): الفقيه الحنبلي، صاحب كتاب: نيل



المآرب شرح دليل الطالب.

✽ ومصطفى الرحباني (ت ١٢٤٣هـ): الفقيه الحنبلي، صاحب: «مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى».

✽ وابن عابدين الحنفي (ت ١٢٥٢هـ) فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره، مولده ووفاته في دمشق، وله الحاشية المشهورة: «رد المحتار على الدر المختار».

✽ وحامد العطار (ت ١٢٦٣هـ): المحدث المفسر.

✽ وطاهر الجزائري ثم الدمشقي (ت ١٢٦٨هـ): الفقيه المفتي المحدث.

✽ وعبد السلام الشطي (ت ١٢٩٥هـ)، إمام الحنابلة في الجامع الأموي.

✽ وبرز في القرن الرابع عشر علماء كثيرون مشهورون؛ منهم:

✽ المحدث الفقيه: سليم العطار (ت ١٣٠٧هـ).

✽ وعلامة الشام: جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ).

✽ والفقيه الحنبلي: عبد القادر بن بدران الدومي (ت ١٣٤٦هـ).

✽ والمحدث الأكبر: بدر الدين الحسني (ت ١٣٥٤هـ).

✽ ومحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) صاحب مجلة المنار.

✽ والأديب الشاعر: مصطفى الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ).

- ✽ ومؤرِّخ حلب: محمد راغب الطَّبَّاخ (ت ١٣٧٠هـ).
- ✽ ومحمد كُرد علي (ت ١٣٧٢هـ) مؤسس المجمع العلمي العربي بدمشق.
- ✽ ومحب الدِّين الخطيب (ت ١٣٨٩هـ) صاحب المكتبة السلفيَّة بالقاهرة.
- ✽ وخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) صاحب كتاب الأعلام.
- ✽ والفقيه الأصولي: أحمد الزرقا (ت ١٣٥٧هـ).
- ✽ ومحمد علي الدقر (ت ١٣٦٢هـ).
- ✽ ومصطفى السباعي (ت ١٣٨٤هـ).
- ✽ ومحمد محمود الحامد (ت ١٣٨٩هـ).
- ✽ والمصلح الأديب: محمد بهجة البيطار (ت ١٣٩٦هـ).
- ✽ والشيخ العلامة: محمد أمين المصري (ت ١٣٩٧هـ).
- ✽ والمربي الجليل: حسن حبنكة الميداني (ت ١٣٩٨هـ).
- ✽ والأديب الأريب: علي الطنطاوي (ت ١٤٢٠هـ).
- ✽ ومصطفى بن أحمد الزرقا (ت ١٤٢٠هـ).
- ✽ ومحدث الشام: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
- ✽ وعبد الغني الدقر (ت ١٤٢٣هـ).

✽ والشيخ عبد القادر الأرنؤوط (ت ١٤٢٥هـ).

✽ ومصطفى سعيد الخن (ت ١٤٢٩هـ).

✽ ومحمد سليمان الأشقر (ت ١٤٣٠هـ).

✽ وعبد الرحمن الباني (ت ١٤٣٢هـ).

✽ وعمر سليمان الأشقر (١٤٣٣ هـ).

وغيرهم كثير، فالشام بلد العلم والعلماء في كلِّ عصر وقرن؛ فلم يخلُ قرنٌ من القرون ولا عصرٌ من العصور منذ الفتح الإسلامي لدمشق من علماء عاملين، وأئمةٍ مُصلحين كبار، تألقت نجومهم وازدهرت علومهم، ولا يزال المسلمون ينهلون من علومهم حتى الساعة.

فاللهمم أعد للشام مجدها، وفك أسرها، وقو شوكة أهلها، واجعلها منارةً للعلم والعلماء كما كانت. . آمين.

## الْجِهَادُ وَالرِّبَاطُ فِي بِلَادِ الشَّامِ

أهل الشام هم أهل القيادة والريادة، وأهل الجهاد والرباط، وصدّ هجمات أعداء الإسلام، منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الساعة.

فكانت الشام عاصمة الأمويين، وكانت دولتهم خير دولة وأعزها في الإسلام بعد الخلافة الراشدة، وأكثرها فتوحًا.

ورغم أن عمر دولتهم لم يبلغ قرنًا من الزمن، فإن أكبر فتوح الإسلام انطلقت منها؛ إذ امتدت فتوحها من الصين شرقًا إلى الأندلس وفرنسا غربًا، ومن بحر قزوين في الشمال إلى المحيط الهندي في الجنوب، وكادت أن تفتح أوروبا بأكملها.

وكان للدولة الزنكية والأيوبية في الشام جهود عظيمة في جهاد الصليبيين؛ إذ قام السلطان نور الدين محمود بن زنكي بتخليص الشام وأهلها من الصليبيين، كما قام صلاح الدين الأيوبي بتحرير القدس والمسجد الأقصى.

وعلى أرض الشام وقعت المعارك العظام، مثل اليرموك، وحنين، وعين جالوت، وشقحب، وميسلون.

فلم تزل أرض الشام على مر الزمان أرض الجهاد والرباط، وهي أرض الحسم بين المسلمين واليهود في آخر الزمان، وبينهم وبين الروم في الملحمة الكبرى، وبينهم وبين الدجال.

## طمع الدول والحضارات في بلاد الشام:

لقد غزا الشام غزاةً كثيرةً مُتتَوِّعون في عصور مختلفة، لكن المُجاهدين من أبنائها، ومن محببها قهروا الغزاة، وردُّوهم بعون الله خائبين.

وقد بدأت المُواجهة الحربية بين المسلمين والروم في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك، حتى فتحها المسلمون في عهد الخليفين الراشدين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في معارك حاسمة أهمُّها: معركة اليرموك بقيادة خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم فتح دمشق بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وبعد معارك دامية اندحر الروم من الشام، ورحل هرقل من حمص مُودِّعاً سورية وداعه الأخير، وهو يقول: «عليك السلام يا سورية، سلاماً لا اجتماع بعده»<sup>(١)</sup>.

ولم ييأس الروم من استعادة الشام، فقاموا بغزوها مراراً، وأرسلوا الحملات الصليبية تترى، الحملة تلو الأخرى، وارتكبوا خلالها كثيراً من المجازر، وأهلكوا الزرع والضرع وأحرقوا الأخضر واليابس، وعاثوا في الأرض الفساد، وقتلوا ومثّلوا وانتهكوا الحرمات، وقُتل في بيت المقدس أكثر من سبعين ألفاً، وفي معرة النعمان نحو هذا العدد أيضاً.

واستمر جهاد المسلمين ضد الصليبيين دون توقف على مدى عقود من الزمن، وكانت معركة حطين بداية النهاية للحملات الصليبية على بلاد الشام.

وفي سنة (٦٥٨) هـ، قصد التتار بلاد الشام، ووصلوا إلى حلب، فحاصروها، ثم

(١) ينظر: «تاريخ الطبري» (٣/٦٠٣).

افتتحوها بالأمان، وغدروا بأهلها، وقتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عَزَّجَلَّ، واستباح (تيمورلنك) مدينة حلب وبنى من رؤوس القتلى تلالا، وهدم ما فيها من مساجد ومدارس، ونهب جنده الأموال، وجاسوا خلال الديار، وسبوا النساء والأطفال، وجرى على أهل حلب قريب مما جرى على أهل بغداد من الهوان.

وكلك فعلوا مع أهل دمشق وحماة.

ولما بلغ السلطانَ الْمُظْفَرَ قُطْزُ صاحب مصر ما فعل التتار بالشام، وأنهم قد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة، وعزموا على دخول مصر، بادرهم قبل أن يبادروه، فخرج إليهم في عساكر مصر والشام، بعد أن اجتمعت الكلمة عليه، فقاتل بهم التتار في معركة «عين جالوت»، في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتتلوا قتالاً عظيماً.

وهزمهم المسلمون هزيمة هائلة، وقُتل أمير المغول وجماعة من بيته، واتبعهم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع، وطهروا البلاد من شرهم، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

ولما كَسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم، ودخل دمشق في أبهة عظيمة، وفرح به الناس فرحاً شديداً، ودعوا له دعاء كثيراً، واسترد حلباً من يد (هولاكو)، وعاد الحق إلى نصابه.

ثم عاود التتار الكرة لغزو الشام، فكانت معركة «شقحب» في الثاني من رمضان سنة

وكانت معركة حاسمة بين جيوش المسلمين من مصر والشام، ومعهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وبين جيوش التتار ومن حالفهم من النصارى، فالتحم الصفان، واحتدم القتال إلى أن جعل الله الدَّبرَةَ على أعدائه، ومنح المسلمين أكتافهم، فريقًا يقتلون ويأسرون فريقًا.

وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية ولغيره من العلماء دورٌ عظيمٌ في هذه المعركة، فقد كان يُنبئُ عزائم الجند ويقوي قلوب المجاهدين، بل شارك بنفسه في القتال، وطاف في الجيش يقوي قلوبهم، ويُشجِّعهم، ويُقسِمُ للأمرء والناس أنهم في هذه الكرَّة منصورون، فيقول له الأمرء: قل: إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا.

وأفتى الناسَ بالفطر مُدَّة قتالهم، وأفطر هو أيضًا، وكان يدور على الأجناد والأمرء، فيأكل من شيء معه في يده؛ لِيُعَلِّمَهُمْ أن إفطارهم؛ لِيَتَقَوَّأَ به على القتال أفضل من صيامهم<sup>(١)</sup>.

وكذلك حاول الباطنية من العبيديين والقرامطة السيطرة على بلاد الشام مرارًا، وتم لهم ذلك في بعض الأوقات، لكنهم لم يتمكنوا من حكمها، ولم ينعموا فيها بالاستقرار؛ لاستمرار حركة الجهاد ضدهم.

وفي العصر الحديث: أعاد الفرنسيون سيرة أجدادهم باحتلال بلاد الشام، وتصدى لهم أهل الشام بكل بسالة، حتى حرروا البلاد منهم في النهاية.

وساعد النصيريون على مر التاريخ: الصليبيين، والتتار، والفرنسيين في غزو بلاد

(١) «البداية والنهاية» (١٤/٢٣).

الشام، بل قاموا بتقديم عريضة للحكومة الفرنسية متضمنة العداة للعرب والمسلمين، والتعاطف مع اليهود في فلسطين، والطلب بإيجاد دولة علوية في سوريا.

وعن طريق المكر والخداع، والتعاون مع أعداء الإسلام استطاع النصيرية مؤخرًا الوصول إلى سُدَّة الحكم في سوريا.

وها هي راية الجهاد تُرفع مرة أخرى بعد فترة من تسلُّط النصيريين، واستعلائهم على البلاد؛ ليسترد المسلمون حقهم، ويتبوءوا مكانتهم.

وها هي ملاحم البطولة تعود اليوم من جديد، لتعيد للشام مكانتها، بعد تطهيرها من هؤلاء الباطنية القرامطة الخبيثة.



## سُورِيَا عَرُوسُ الشَّامِ

يَا سُورِيَا، يَا فخرَ أَهْلِ الشَّامِ

يَا عُقْرَ دَارِ كُتَابِ الْإِسْلَامِ

كَمْ مِنْ بَنِي فِي رُبُوعِكَ قَدْ دَعَا

لِلَّهِ، لَا لِإِبْكَادَةِ الْأَصْنَامِ

أَرْضُ مُبَارَكَةٌ، وَشَعْبٌ طَيِّبٌ

بَأَنْفِ الْخُضُوعِ لِعَاشِمِ ظَلَامِ

وَرِثَ الْبَسَاةَ وَالشُّجَاعَةَ وَالْفِدَا

مِنْ كُلِّ قَرْمِ فَارِسٍ مِقْدَامِ

بُورِكْتِ نَبَعِ الْعِلْمِ نَبْعَا صَافِيَا

بَرْوِي عِطَاشِ السَّكَادَةِ الْأَعْلَامِ

بُورِكُنْ مَهْدًا لِلْحَضَارَةِ جَذْرُهُ

مُتَأَصِّلٌ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ

بُورِكُنْ حِضْنَا حَانِيَا مُتَلَطِّفَا

يَنْذُو الصِّغَارَ؛ لِحَمَلِ كُلِّ حُسامِ

بُورِكُنْ يَا قَبْرَ الْعُرَاةِ، وَتَسِيهِمِ

فِي لَيْلِ بَأْسِ، أَوْ نَهَامِ دَامِ

كَمْ ذَا غَرَكَ الْمُتَعَدُونَ وَظَلَمُوا وَحَاوَلُوا

أَنْ يَنْعَمُوا عَيْنًا بِبَيْلِ مَكْرَامِ

لَكُمْ خَابُوا، وَضَلَّ سَعِيهِمْ

لَلَّ يَا عَرُوسَ الشَّامِ أَلْفُ سَلَامِ

## فهرس المحتويات

٥.....	مقدمة
٧.....	فصائل الشام في القرآن والسنة
٤٦.....	العلم والعلماء في بلاد الشام
٦٠.....	الجهاد والرباط في بلاد الشام
٦٥.....	سوريا عروس الشام

# طوبى للشام

بلاد الشام هي ديار النبيين ،  
ومركز الصالحين ، ومطلب الفضلاء ،  
بها القبلة الأولى ، وموضع الحشر  
والمسرى ، والرباطات الفاضلة ،  
والتُّغُور الجليلة ، ومهاجر إبراهيم ،  
ومشاهد الأنبياء ... وفضائل لا تحفى.

ومن تأمل النصوص الشرعية الثابتة  
والأخبار الصادقة تعرّف على موعود الله  
الذي لا يخلف وعده ،  
وأيقن أن النصر قادم ،  
وأن مع العسر يسرا ، وأن الله معزُّ جنده ،  
ومذلُّ عدوه ، و متمُّ نوره ، لا محالة .

رقم الإيداع : ١٤٣٤/٨٢٥  
ردمك : ٥-٢٨-٤٧-٨٠٣-٦٠٣-٩٧٨

المملكة العربية السعودية  
الخير - هـ : ٨٦٥٥٣٥٥  
جدة - هـ : ٦٩٢٩٢٤٤  
ص.ب: ١٢٦٢٧١ جمعة : ٢١٢٥٢

مجموعة زاد  
ZAD GROUP  
للشام